مقياس : مدخل الى تاريخ الحضارة الاسلامية

السنة : الأولى علوم إنسانية

السداسي : الثاني

الرقم	عنوان المحاضرة	
01	تعريف الحضارة الاسلامية	
02	جغرافية الحضارة الاسلامية	
03	مصادر تاريخ الحضارة الاسلامية	
04	الحواضر الاسلامية الكبرى في المشرق والمغرب والأندلس	
05	علوم الطب والصيدلة في الحضارة الاسلامية	
06	علم الفلك والإسطرلاب	
07	علم الكيمياء و علم الرياضيات والبصريات	
08	العمارة الاسلامية	
09	القوانين والأنظمة الاجتماعية	
10	الأسواق في الحضارة الاسلامية	
11	الفنون الاسلامية	
12	الحرف والصناعات	
13	أثر الحضارة الاسلامية على أوربا	
14	تراجم لأشهر العلماء المسلمين في العلوم العقلية	

المحاضرة الثامنة : الفنون الاسلامية

نشأة الفن الاسلامي :

خرج العرب من صحرائهم وليس عندهم من مقومات الحياة الاجتماعية، إلا عناصر بسيطة، وقد انتصروا بفئتهم القليلة وحضارتهم الساذجة على تلك الأمم العظيمة العريقة في القدم، وقد آثروا أن يبدأوا حضارتهم الجديدة من حيث انتهى السابقون عليهم، فلم تستخفهم نشوة النصر إلى القضاء على ما لم يكن مألوفا لديهم. بل ثبتوا أركان النظم التي كانت سائدة بين الأمم التي أخضعوها، ما دامت لا تتعارض مع المثل العليا للإسلام، يقول فيليب حتى في كتابه (تاريخ العرب) (فأبناء الصحراء قد ورثوا الحضارات القديمة وما فيها من تقاليد طويلة، ترجع على أيام اليونان والرومان، والإيرانيين والفراعنة واليابليين والآشوريين ولم يكن لدى العرب الأصليين أي شيء يعلمونه للآخرين وكان أمامهم كل شيء ليتعلموه، ولله ما كان أشدهم فهما، إن أولئك العرب المسلمين بما فطروا عليه من رغبة شديدة في العلم، وبما انطوت عليه جوانحهم من قوى كامنة، لم تثر بتاتا من قبل، قد بدأوا الآن بفضل تعاونهم مع رعاياهم، بفضل مساعدة أولئك لهم، يهضمون ويكيفون وينبشون تراثهم العقلي والفني). فعندما ارتاح الفنيون من أهل الذمة إلى تسامح العرب واعترافهم بمهارتهم الفنية، قام الفن الإسلامي على أسس من الفن الساساني في العراق وإيران، وعلى أسس من الفن البيزنطي ف يمصر والشام وبلاد المغرب، كما عاون الدين الإسلامي بما تضمنه من نظم وتوجيهات على نضوج هذه الحضارة، وسمو ذلك الفن، فكانت هذه هي الأسس الكبرى التي استمد منها الفن الإسلامي أصوله.

في العهد الأموي : أقبل المسلمون في عصر الدولة الأموية على التشييد والتعمير، وقد اتخذ الأمويون دمشق عاصمة للعالم الإسلامي وكانت السيادة الفنية في عصرهم للفتيين السوريين، فكان طبيعيا أن تتحلى تحفهم ومبانيهم بزخارف الفن البيزنطي، وأصبح الطراز الأموي مرحلة انتقال بين الفنون المسيحية في الشرق الأدنى، وبين الطراز العباسي، ومع هذا فلم يخل من الأساليب الفنية الساسانية التي كانت مزدهرة في الشرق الأدنى عند ظهور الإسلام، وإن الآثار الإسلامية في الشام، وهي أقدم الآثار الإسلامية وجودا، تفصح بتصميمها وزخارفها عن امتزاج عناصر من الفن البيزنطي، بعناصر من الفن الساساني، حيث كان الفن الإسلامي الصحيح ما زال وليدا لم يستق عوده بعد.

في العهد العباسي : وعندما آلت الخلافة إلى العباسيين سنة 132هـ، نقلوا مقر الحكم إلى العراق، فاتخذ الفن الإسلامي اتجاها جديدا، وغلب على الطراز العباسي الأساليب الفنية الفارسية، ثم نضج هذا الطراز وبلغ أوج عظمته في مدينة سامرا في القرن الثالث الهجري، حيث كشفت الحفائر الأثرية بها، عن زخارف جديدة لها طابع خاص يميزها عن غيرها، قسمها علماء الآثار إلى طرز شتى، وقد ذاعت هذه الطرز في معظم العالم الإسلامي على الجص والأخشاب، والمنسوجات والزجاج، وأصبحت وسيلة تساعدنا على تاريخ ما قد يصادفنا من أبنية وتحف مجهولة التاريخ.

في الأندلس : فقد ازدهر الطراز الأموي المغربي إلى القرن الخامس الهجري وقد احتفظ بمعظم أساليب الطراز الأموي الشرقي وبعض الأساليب العباسية، بينما احتفظت بلاد المغرب بأساليبها الفنية القديمة فترة طويلة بعد الفتح العربي، وكانت صلة هذه الأساليب بالفن الروماني واضحة إلى حد بعيد، ولم تتأثر الأساليب المغربية بأساليب الطراز العباسي إلا تأثرا بطيئا لا يكاد يظهر تماما قبل القرن الرابع الهجري، ثم أتيح للأندلس والمغرب أن يتحدا تحت حكم المرابطين الذين ضموا الأندلس إلى دولتهم عام 483هـ كما مد الموحدون سلطانهم على الأندلس، وظلوا يجاهدون المسيحية فيها إلى سنة 632هـ، عندما اقتصر نفوذ المسلمين على مملكة غرناطة، وعندما سقط بنو نصر سنة 897هـ انتهى حكم المسلمين بالأندلس.

ومن الطبيعي أن المرابطين ثم الموحدين، كانوا حلقة اتصال بين الأندلس والمغرب، فكان الجند المغاربة يرحلون للقتال بالأندلس، بينما كان يحمل الصناع والفنيون من أهل الأندلس إلى بلاد المغرب، الأساليب الفنية التي ازدهرت في بلادهم، وهكذا أقام الطراز الاسباني المغربي على يد الموحدين في القرن السادس الهجري، وقد بلغ أوج عظمته في غرناطة في القرن الثامن الهجري.

فن الموسيقى في الحضارة الاسلامية :

لقد اشتهر العرب منذ القدم بحب الموسيقى والغناء، ويعود ذلك بشكل أو بآخر إلى الشعر وما يتميز به من إيقاعات بسبب الأوزان والقوافي، والناظر في كتب التراث سيجد دلائل ومعطيات كثيرة، على مدى اهتمام أجدادنا بهذه الصنعة، وكيف نظروا إليها نظرة إجلال واحترام، وكيف حظي المجيدون فيها بكل تقدير وعناية، وكيف شغف بها الخلفاء والأمراء والقضاة والفلاسفة، وأعطوها حقها من الرعاية والتقدير.

وقد زاد من اهتمام العرب بالموسيقى والغناء كون الإسلام لم يمنعهما؛ يقول ابن عبد ربه الأندلسي في كتابه (العقد الفريد): "عندما جاء الإسلام، لم يمنع الغناء والموسيقى، وإن كان العرب أول أمرهم لم يهتموا بهما، لانشغالهم بالفتوح، ولكن تغير ظروف المجتمع العربي الجديد من الخشونة إلى الترف أظهر نواة نهضة غنائية موسيقية في بلاد العرب حتى اشتهرت بوجود أمهر المغنين فيها"، لقد شاع الغناء في الدولة العربية الإسلامية، وراجت بضاعته باتساع أسباب الحضارة والرخاء، وتكاثر المغنون لما شاهدوه من رغبة الخاصة في الغناء، فظهر جماعة من المهرة الموسيقيين، الذين أتقنوا هذه الصناعة وآلاتها اتقاناً حسناً.

وذروة تطور هذا المجال ستكون مع العصر الأموي حيث ظهرت الأغنية الفردية التي كانت تؤدى بمصاحبة العود، وأصبحت دمشق عاصمة للغناء والفنون العربية المختلفة، حتى إن الخليفة سليمان بن عبد الملك كان يجري المسابقات بين المغنين ويجزل لهم العطاء، وتذكر الكتب التاريخية أن الخليفة الوليد بن عبد الملك كرّم المغني "معبد" في حياته إكراماً بالغاً، ولما مرض آواه في قصره ليباشر علاجه أطباء الخليفة، ولما مات شيّعه بنفسه.

ومن أشهر المغنين في العهد الأموي الذين أتت على ذكرهم كتب التراث وخصصت لهم صفحات طويلة "سائب خاثر"، فقد كان أول من أسبغ الروح العربية على الغناء الفارسي وأول من استخدم العود بدل القضيب في الغناء، وقد تتلمذ على يديه "ابن سريج" الذي يعد من أعظم المغنين والملحنين في هذا العصر. ومن المغنين أيضاً الذين ذاع صيتهم في العصر الأموي هناك "معبد بن وهب"، والذي يعد أشهر من جمعوا حسن الصوت إلى البراعة في الغناء مع المقدرة على الضرب بالعود، وهناك أيضاً "ابن محرز" الذي قيل عنه إنه جمع كل النغمات في الغناء، و"ابن مسجع" الذي وصف بأبي الموسيقى العربية القديمة، حيث كان أول من وضع قواعد العزف والأداء والتلحين. أما من النساء فلمع اسم كل من "عزة الميلاء" و"حبابة" و"سلّامة" و"جميلة" وغيرهن.

أما فيما يخص الآلات الموسيقية في العصر الأموي فقد تسيدها العود، ثم يأتي من بعده في المرتبة الثانية الطنبور الذي كان شائع الاستخدام في سوريا والحجاز، كما استهدى الفنانون في هذه المرحلة التاريخية إلى استخدام الآلات الهوائية الخشبية كالمزمار، وكذلك استخدموا الطبل والدف لتمييز الإيقاع، فبدأت تلوح في الأفق بوادر تكوين الفرق الموسيقية.

أما في العصر العباسي فقد بلغت الموسيقى مرحلة أكثر تقدماً لاسيما في عهد هارون الرشيد الذي اقترن اسمه بالفنون والآداب؛ فقد كان مولعاً بالغناء والموسيقى حتى آثرهما على جميع شهوات نفسه، وكان ممن جعلوا للمغنين مراتب وطبقات، وقد سار على دربه ابنه الخليفة الأمين الذي كان بلاطه مكتظاً بالمغنين وذوي المواهب الفنية.

ومن أشهر المغنين في هذه المرحلة "إبراهيم الموصلي"، "ابن جامع"، "حكم الوردي"، "زلزل"، "إسحاق الموصلي"، "يحي المكي"، "إبراهيم بن المهدي" وغيرهم، بل إن من الخلفاء العباسيين من كان يجيد الضرب على الآلات الموسيقية وله ولع شديد بالغناء؛ فالخليفة الواثق على سبيل المثال كان يتقن الغناء إتقاناً لم يسبقه إليه خليفة ولا ابن خليفة، وقد وضع بعض الأصوات والأنغام الجديدة، يقول السيوطي في كتابه (تاريخ الخلفاء): "كان الواثق أعظم الخلفاء بالغناء، وله أصوات وألحان عملها، نحو مائة صوت، وكان حاذقاً بضرب العود ورواية الأشعار والأخبار".

هكذا إذن؛ يتبين لنا أن الموسيقى والطرب في الحضارة الإسلامية كان لهما حضور قوي في العهدين الأموي والعباسي، وهذا الحضور سيكون أكثر بروزاً في الأندلس بعد سحب البساط من بغداد لصالح قرطبة التي أصبحت مركزاً موسيقياً وثقافياً بارزاً. وقد اشتهر في هذه المرحلة المغني "زرياب" الذي تتلمذ ببغداد على يدي إسحق الموصلي ودرس في حلقاته الموسيقى الفارسية والعربية الشرقية، لكنه اختلف معه فاضطر إلى الرحيل نحو بلاد الأندلس والغناء في بلاط عبد الرحمن بن الحكم الذي أكرم وفادته وأعلى من شأنه، فاستغل "زرياب" الفرصة ليجعل من قرطبة حاضرة للفن تنافس ما كان يقام في بغداد، بل أكثر من ذلك صار "زرياب" من الذين أثروا في الموسيقى الأوربية آنذاك، سواء من خلال البعثات التي كانت تفد إلى مدينة قرطبة لتنهل من علمه وفنه الموسيقي، أو من خلال الجواري اللائي كن يتعلمن في مدرسة زرياب ثم يرسلن كهدايا لملوك وسادة البلاد الأوروبية.